روح العمل التعاوني في القرآن الكريم
دراسة تأصيلية تفسيرية

د ٠ محمد محمود السواعدة (*)

المقدمة :

الحمد لله الذي جعل الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا، وبث في أوصالهم وشائج الدم والقربى، وأرسى في أممهم وحدة المنبع والمقصد، وفاوت بين عقولهم في النظر والرأي، وخالف بينهم في الطبائع والأمزجة لحكمة يريدها الله تعالى، والصلاة والسلام على رسول الله الذي ترجم القرآن الكريم أفعالاً وسلوكات، فكان خير نموذج يقتدى، وأفضل مثال يحتذى، وعلى آله وصحبه الكرام الذين أيد الله بهم الإسلام، وألف بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمته إخواناً، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن المتدبر لهدايات القرآن الكريم يجد فيها كنوزاً مذخورة، وحِكَماً نفيسة مشهورة، فقد جعله الله تعالى آية ناصعة باقية، ومعجزة شاهدة وافية، وأرشد العالمين إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم في دينهم ودنياهم، لذا كان العمل به فريضة وضرورة، ولا يتم العمل به إلا بفهمه ومعرفة أحكامه، وهو ميدان علم التفسير.

هذا وقد تظاهرت الأقوال على أهمية علم التفسير، وأنه علم لا يستغني عنه أحد، وقد أطال العلماء في بيان فضل تفسير كلام الله تعالى ليس هذا مكانه، لكن أكتفي بجزء صغير مما ذكره السيوطي في إتقانه قال: "وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ على أَنَّ التَّفْسِيرَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، وَأَجَلُّ الْعُلُومِ الثَّلَاثَةِ الشَّرْعِيَّةِ، قَالَ الْأَصْبَهَانِيُّ:

(*) الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن– كلية الدعوة وأصول الدين– جامعة العلوم الإسلامية العالمية– الأردن.

أَشْرَفُ صِنَاعَةٍ يَتَعَاطَاهَا الْإِنْسَانُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ، بَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ شَرَفَ الصِّنَاعَةِ إِمَّا بِشَرَفِ مَوْضُوعِهَا، مِثْلَ الصِّيَاغَةِ فَإِنَّهَا أَشْرَفُ مِنَ الدِّبَاغَةِ؛ لِأَنَّ مَوْضُوعَ الصِّيَاغَةِ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَهُمَا أَشْرَفُ مِنْ مَوْضُوعِ الدِّبَاغَةِ الَّذِي هُوَ جِلْدُ الْمَيْتَةِ، وَإِمَّا بِشَرَفِ غَرَضِهَا، مِثْلَ صِنَاعَةِ الطِّبِّ فَإِنَّهَا أَشْرَفُ مِنْ صِنَاعَةِ الْكُنَاسَةِ؛ لِأَنَّ غَرَضَ الطِّبِّ إِفَادَةُ الصِّحَّةِ وَغَرَضَ الْكُنَاسَةِ تَنْظِيفُ الْمُسْتَرَاحِ، وَإِمَّا لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا كَالْفِقْهِ، فَإِنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ أَشَدُّ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الطِّبِّ، إِذْ ما من واقعة من الْكَوْنِ فِي أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا وَهِيَ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى الْفِقْهِ؛ لِأَنَّ بِهِ انْتِظَامُ صَلَاحِ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، بِخِلَافِ الطِّبِّ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ.

إِذَا عُرِفَ ذَلِكَ فَصِنَاعَةُ التَّفْسِيرِ قَدْ حَازَتِ الشَّرَفَ مِنَ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ؛ أَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَوْضُوعِ فَلِأَنَّ مَوْضُوعَهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ يَنْبُوعُ كُلِّ حِكْمَةٍ، وَمَعْدِنُ كُلِّ فَضِيلَةٍ، فِيهِ نبأ ما قبلكم، وخبر مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، لَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْغَرَضِ فَلِأَنَّ الْغَرَضَ مِنْهُ هُوَ الِاعْتِصَامُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَالْوُصُولُ إِلَى السَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي لَا تَفْنَى، وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ شِدَّةِ الْحَاجَةِ؛ فَلِأَنَّ كُلَّ كَمَالٍ دِينِيٍّ أَوْ دُنْيَوِيٍّ عَاجِلِيٍّ أَوْ آجِلِيٍّ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الدِّينِيَّةِ، وَهِيَ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى الْعِلْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى"[1]. وغيرها من الأقوال التي امتلأت بها مصنفات علوم القرآن في تمجيد التفسير.

لذا فقد اخترت أن أُأَصل لموضوع روح العمل التعاوني، وهو المعروف في النظريات الإدارية الحديثة بالعمل بروح الفريق، وذلك من خلال بعض أقوال المفسرين رحمهم الله تعالى ورضي عنهم.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، ٤/ ١٩٩.

فقد شاءت سنة الله تعالى أن يكون العمل المجتمعي التعاوني هو الأصل في إنجاز المهمات، فالكائنات الحية كلها تعمل بشكل تعاوني بديع، كما قيل:

النمل تبني قراها في تماسكها والنحل يجني رحيق الشهد أعوانا

من هنا كانت العبارة التي تقول: من ظن أنه قادر وحده على النجاح فهو واهم مغرور(١)، عبارة سليمة إلى حدّ بعيد، ولها ما يؤيدها من لسان الحال والمقال.

وقد دعا الْإِسْلَامَ الناس إلى العِبَادَة وَالعَمَل، وحثّ الْجَمِيعَ عَلَى التآزر والْإِبْدَاعِ، بهدف نَفْعِ بعضهم البعض، فمع أن الْفَرْدُ هُوَ أساس بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ وإعمار الأرض؛ فَإِنَّ دَوْرَهُ الأهم فِي هَذَا الْبِنَاءِ لَا يَستقيم ولا يكتمل إِلَّا حينما تتآزر معه جهود بَقِيَّةِ اَفْرَادِ جنسه.

أهمية البحث

تظهر أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

١- أن بحث موضوع هدايات القرآن الكريم في مجال العمل التعاوني لم يسبق أن طرح بالشكل الذي نحته هذه الدراسة.

٢- أن موضوع العمل التعاوني موضوع عصري، حيث يعد –من منظور الدراسات الإدارية– حكراً على الحضارة الغربية ومنتجاتها، لذا كان من الواجب تأصيل مضامينه وفق إشارات القرآن الكريم ونصوصه، وبيان السبق القرآني في هذا الجانب.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- بيان المنهج القرآني حول نظرية العمل التعاوني، وتجليتها في عبارات المفسرين.

---

(١) العمل الجماعي، إبراهيم الفقي، دار أجيال للنشر والتوزيع، ط١/ ٢٠٠٩، ص ٩.

٢- تقديم صور واضحة ونماذج تطبيقية عملية للعمل التعاوني مستفادة من القرآن الكريم.

٣- بيان السبق الحضاري للقرآن الكريم في مجال العمل التعاوني كما جاء في كتب التفسير.

٤- الدعوة إلى تنوير الأذهان وتوسيع التفكير لدى الأفراد والمؤسسات المختلفة حول أهمية موضوع العمل التعاوني من منظور القرآن.

٥- التأصيل الشرعي لمهارة العمل التعاوني من خلال آراء المفسرين.

مشكلة الدراسة

من المؤمل أن تجيب هذه الدراسة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما تطبيقات نظرية العمل التعاوني في القرآن الكريم من خلال آراء المفسرين؟

حدود الدراسة

ستحاول هذه الدراسة تحقيق أهداف البحث والإجابة عن سؤال المشكلة وذلك بالتمثيل من بعض أقوال المفسرين وليس جميعهم، فالمقصود التمثيل لا الحصر.

خطة الدراسة

يعتمد البحث المنهجين الوصفي والتحليلي، وذلك من خلال تحديد مشاهد من منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى العمل بروح الفريق ومجهود الأمة، وأثر ذلك إيمانياً وتربوياً، وقد اشتمل على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة كالآتي:

* المقدمة: وتشتمل على مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، والدراسات السابقة، وحدودها.
* التمهيد
* المبحث الأول: أسس العمل بروح الفريق في القرآن
* المبحث الثاني: أهمية القائد في العمل بروح الفريق في القرآن

الخاتمة وتشتمل على النتائج والتوصيات.

التمهيد

أولاً: تعريف العمل التعاوني:

من يطالع مفهوم العمل التعاوني في حقول الإدارة والأعمال وما شابهها يجد تعريفاتها تنحصر في وجهة النظر الغربية التي تنطلق من مبدأ مواصفات الفريق ضمن جو العمل الوظيفي الواحد، أو مؤسسات المهام الضيقة والصغيرة، فنظرية العمل التعاوني، أو العمل بروح الفريق –كما هو شائع لدى كتّاب ومفكري الغرب (بالإنجليزية: Teamwork) – لا تكاد تخرج عن مفهوم إنجازات العمل والمهام المسندة للفريق،

فما هو الفريق؟ وما هو روح الفريق؟

عند التفتيش عن معنى كلمة روح الفريق في القاموس تجد أن كلمة الروح قد أضيفت عند المتأخرين إلى أشياء كثيرة توسعاً، فيقال: الرُّوح العسكريّة: يعني حياةُ الجنديةِ وتقاليدُها، والرُّوح الوطنيّة: أي الشعور الوطنيّ لصالح الأمة، وثقيل الرُّوح: جامد غير فكِه، وخفيف الرُّوح: لطيف، مَرِح، رقيق العشرة، ورفيق الرُّوح: شخص يتفق مع آخر في الطبع، أو الرأي، أو الإحساس، وروح الشَّيء: المعنى أو المغزى الحقيقيّ وراء الشيء، وروح العَصْر: ما يميِّز فترة زمنيّة ما عن غيرها من الفترات، وروح الفريق: روح التّعاون، وروح رياضيَّة: واسعة الصدر تقبُّل الهزيمة، وعَمَلٌ لا رُوحَ فيه: يفقد التأثير والقوة[١]، وهناك استعمالات أخرى ذكرتها قواميس اللغة المعاصرة.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ٢/ ٩٥٦.

فالْفَرِيقُ هو "الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ، وَهو أكثر من الْفِرْقَةُ"(١).

وَالمجموعة: هم "عددُ كلِّ شيءٍ وكثرته"(٢).

والفريق أو المجموعة في الاصطلاح: "هم أشخاص يجتمعون من أجل تحقيق غاية ما(٣)".

فقد عرفها بعضهم بأنها "مجموعة من الأفراد يتميزون بوجود مهارات متكاملة فيما بينهم، تجمعهم أهداف مشتركة وغرض واحد، بالإضافة إلى مدخل مشترك للعمل"(٤) .

ومهما يكن من اختلاف في ألفاظ التعريفات فإنها لا تخرج عن كونها عملا مهنيا يشترك بإنجازه مجموعة من المعنيين من خلال قيام كل شخص بما أسند إليه لتحقيق هدف مشترك.

أهم ما يستفاد من هذه التعريفات ذات الصبغة الغربية، أو بتعبير أكثر تحديدا ذات اللون الرأسمالي: أن الفريق يسعى إلى هدف مادي خالص، وأنه يسعى أيضاً إلى تحقيقه بغض النظر عن سلامة الوسيلة في الوصول إليه، وأنه لا يخرج عن إطار العمل الوظيفي.

---

(١) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ٢٣٨.

(٢) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ٢٥٦/١.

(٣) Larson,C.and LaFasto,F., Teamwork, Sage Publications, Newbury Park,CA,١٩٨٩, p.١٩.

(٤) بناء وإدارة فريق العمل، من منشورات الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة، ص٣، مصر، دون معلومات.

والتعريف الإجرائي المقصود بهذه الدراسة –في تقديري– لا يهمل هذه المجالات السابقة، لكنه يضيف إليها بعض الفقرات الضرورية التي تتلافى الوقوع في الأخطاء السابقة، لذا يمكن لي تعريفه إجرائياً بأنه: مجموعة من الأفراد المؤهلين المنهمكين بعمل مادي أو معنوي مشروع، ذوي مهارات متكاملة فيما بينهم، تجمعهم مقاصد ووسائل مشروعة(١).

* *

(١) قارن ذلك بما ذكر من تعريفات ينظر: بناء وإدارة فريق العمل، من منشورات الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة، ص٣، مصر، دون معلومات.

المبحث الأول

أسس العمل بروح الفريق في القرآن

المطلب الأول: التعاون والعمل بروح الفريق:

أولاً: مفهوم التعاون

لعل أول ما يتبادر للذهن حين الحديث عن العمل بروح الفريق مبدأ التعاون الذي يشمل موقف الإنسان من أخيه الإنسان، بما يقدمه له من منافع ومساعدة، وما ذلك إلا لأن هذا الخلق يحقق مقاصد دينيّة وإنسانية أساسية، وعليه تتوقف كثير من مصالح الناس، وهو أمر قرره القرآن الكريم، فقد جاءت آيات كثيرة تحث على خلُق التعاون، منها صراحة ومنها إشارة، لكن القاعدة القرآنية للعمل بروح الفريق التي تعدّ أساس التعاون جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ولمكانة مبدأ التعاون في الإسلام فقد توسع البعض في تعريفه حتى جعله يشمل مناحي الدين كله، فعرّفه بأنه "كل خير أمر به الشرع، أو نهى عنه من المنكرات، أو اطمأن إليه القلب"(١)، كما عرّفه آخرون بأنه: "تبادل المعونة، ويكون في الخير بمد يد المعونة في الشدائد، وكل يجود بما عنده لأخيه"(٢). فهذا قصرٌ لمعناه على تبادل المنافع بين الإنسان وأخيه، وهذا التعريف الأخير هو أقرب لمقصود هذه الدراسة.

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ، ١/ ٦٩.

(٢) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي، ٤/ ٢٠٢٦.

ثانياً: التعاون ضرورة بشرية وحاجة أساسية

ففي الأمر (وتعاونوا) إرشاد إلى مبدأ أصيل لا يتسنى للإنسان العيش بدونه، ولا يمكن أن يستغني عنه أحد؛ لأنه كما ذكر الشيخ الشعراوي: "مسائل الحياة أكبر من أن تستوعبها موهبة واحدة، فأنت حين تبني بيتاً تحتاج إلى من يحفر الأساس ويبني الجدران، ومن يصنع الطوب ومن يصنع الأسمنت ومن يصنع الحديد، ولا يستطيع إنسان واحد أن يتعلم كل هذه الحرف ليبني بيتاً.

لكن التعاون خصص لكل إنسان عملا يقوم به، فهناك متخصص في كل جزئية يحتاج إليها الإنسان في حياكة الملابس والطب والصيدلة، وغيرها من أوجه احتياجات الحياة، والحق يأمر: «وتعاونوا» ليسير دولاب الحياة ويستفيد الإنسان من كل المواهب لقاء إخلاصه في أداء عمله، و «تعاونوا» هي أن تأتي بشيء فيه تفاعل ما، ومعنى الشيء الذي فيه تفاعل أنه يوجد «مُعين» و «مُعان» .

ولكن المعين لا يظل دائماً معينا، بل سينقلب في يوم ما إلى أن يكون مُعانا، والمعان لا يظل مُعانا، بل سيأتي وقت يصير فيه مُعينا، وهذا هو التفاعل الذي تحتاج إليه أقضية الحياة التي شاءها الله للإنسان الخليفة في الأرض؛ المطالب أن يعبد الله الذي لا شريك له، وأن يعمر هذه الأرض، ولا تتأتى عمارة الأرض إلا بالحركة فيها، والحركة في الأرض أوسع من أن تتحملها الطاقة النفسية لفرد واحد، بل لا بد أن تتكاتف الطاقات كلها لإنشاء هذه العمارة.

إننا حين نبني عمارة واحدة نستخدم أجهزة كثيرة لطاقات كثيرة، بداية من المهندس الذي يرفع مساحة القطعة من الأرض ويرسمها، وإن شاء الترقي في صنعته يصنع نموذجا مجسدا لما يرغب في بنائه، وبعد ذلك يأتي الحافر ليحفر في الأرض ثم من يضع الأساس، ومن يضع الحديد. ومن يصنع «الخرسانة» المسلحة، ثم يأتي من يرفع البناء، ومن يقوم بالأعمال الصحية من توصيلات للمياه والمجاري، ثم يأتي من يصمم التوصيلات الكهربائية، وهكذا تتعاون طاقات

كثيرة لبناء واحد، ولا تتحمله طاقة إنسان واحد، إذن فالتعاون أمر ضروري للاستخلاف في الحياة"[1].

هذا المثال وضح فيه الشيخ حقيقة التعاون وجلى صورته كأحسن ما يكون، وهو ملحظ نفيس نبه إليه الشيخ ي، وهو يفيد أنه لا تستقيم حياة البشر دون تطبيق هذا الخلق، وفيه إلماح إلى أهمية التعاون ومدى حاجة الناس له.

يبقى –هنا– الإشارة إلى أن ميدان التعاون فسيح، فهو يتيح المشاركة لكل أفراد الجماعة، كل حسب طاقته وقدرته ومهارته، فالعالم بعلمه، والشجاع بقوته، والمهني بمهنته، وبأشكال التعاون المتماسك المختلفة؛ كتعاون أفراد الأسرة، والحي، والأمة، لينتج مجتمع متآخ كأنه جسد واحد، كمثل مجتمع المدينة الذي أشرف عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، وساده روح التعاون والإيثار[2].

لذا فالمشاهد المحسوس اليوم من حال الأمم والمجتمعات؛ أن الدول والتكتلات الكبيرة التي فرضت مبدأ التعاون على شعوبها، وأقامت دعائم المنافع المشتركة بين سكانها –ولو بقوة القانون– قد سبقت غيرها فحققت نهضة ورقياً مادياً منقطع النظير.

المطلب الثاني: منهج القرآن في تعزيز روح الفريق

أولاً: الخطاب بصيغة المجموع

لأهمية حضور روح الأمة في إنجاز المهمات؛ فقد حفل القرآن الكريم بتوجيه الخطاب إلى المجموع، حيث وقع مثل هذا بمواضع كثيرة منه، وهو منهج وظاهرة قرآنية تفوق الإحصاء، فتارة خاطب الأمة باعتبارها نسيجاً واحداً متناسقاً، وتارة خاطبها باعتبارها مسئولة عن كسب أفرادها، وتارة رتب على العمل التعاوني –في

(١) الخواطر في التفسير، ٢٩٠٧/٥، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، طبعة: ١٩٩٧ م).

(٢) ينظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٤/ ٢٠٢٦

العبادات والمعاملات والأخلاق وغيرها– فضائل لم تدركها الجهود الفردية، وتارة عدّ عمل الخير وتقديم المنفعة للغير منفعة يستفيد منها فاعلها أصالة.

فمن الأولى ما حكاه القرآن على لسان المؤمنين في سياق الحديث عن عبادة محضة، وهي عبادة الدعاء التي اصطبغت بالحس الجمعي طلباً إلى تحصيل الكمال بهذا الحس؛ كقوله تعالى: (ربنا لَا تُؤَاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا ربنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا ربنا وَلا تُحَمِّلْنا مَا لَا طاقَةَ لَنا بِهِ) لأن "الْمَقْصُودُ مِنْهُ بَيَانُ أَنَّ قَبُولَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاجْتِمَاعِ أَكْمَلُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ لِلْهِمَمِ تَأْثِيرَاتٍ، فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْأَرْوَاحُ وَالدَّوَاعِي عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ كان حصوله أكمل" كما قال الرازي[١]، وفي عبارات المفسرين الكثير مما يشبه ذلك.

وأما ما جاء من خطاب القرآن للأمة باعتبارها مسئولة عن كسب أفرادها، قوله تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً) فالخطاب هنا –وإن كان مقصودا فيه فرد واحد وهو القاتل، إلا أنه موجه للمجموع "لوجود القتيل فيهم، وهذا يشعر بمسئولية الفريق كله عما يقع فيه"[٢]. وهو مؤذن بمراجعة الفريق لسلوك أفرادها ومتابعة تصرفاتهم، فضلاً عن أن مثل هذا يعدّ محفزا ذاتيا لتحقيق النجاح، ولذا فإن ما تقرر في علم الإدارة بأن: "فريق العمل أسلوب فعال ومثمر؛ لأنه يتيح لكل فرد في المؤسسة أن يشعر بالامتلاك والمسئولية، وذلك يجعلهم أكثر التزاماً وإصراراً على تحقيق نتائج أفضل"[٣]، أمر لا يتعارض والرؤية القرآنية في مخاطبة الجمهور.

---

(١) مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، ١٢٤/١٧.

(٢) الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة. الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ، ٣٠٤/١.

(٣) العمل الجماعي، إبراهيم الفقي، دار أجيال للنشر والتوزيع، ط١/ ٢٠٠٩، ص ١٠.

وأما ما جاء من توجيه الخطاب إلى فريق المؤمنين باعتبارهم أمة واحدة، ورتّب على العمل المشترك فضائل لا تدرك بالفردية، وهي مهام نبه القرآن إليها، وحث الأمة على إنجازها بشكل اجتماعي في مجال العبادات قَوْلِهِ تعالى: (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً)، فأشاد بها، ورغّب فيها، لكن الإمام الرازي التمس في تفسيره روحاً جديدة لمقصود الآية حين قال: "وَيَكُونُ الْمَعْنَى كَوْنُهُ مَشْهُودًا بِالْجَمَاعَةِ الْكَثِيرَةِ، وَمَزِيدُ التَّحْقِيقِ فِيهِ أَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ تَأْثِيرَ هَذِهِ الصَّلَاةِ فِي تَصْفِيَةِ الْقَلْبِ وَفِي تَنْوِيرِهِ أَكْثَرُ مِنْ تَأْثِيرِ سَائِرِ الصَّلَوَاتِ، فَإِذَا حَضَرَ جَمْعٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَسْجِدِ لِأَدَاءِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ، اسْتَنَارَ قَلْبُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ بِسَبَبِ ذَلِكَ الِاجْتِمَاعِ، كَأَنَّهُ يَنْعَكِسُ نُورُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَنُورُ طَاعَتِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ قَلْبِ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَى قَلْبِ الْآخَرِ، فَتَصِيرُ أَرْوَاحُهُمْ كَالْمَرَايَا الْمُشْرِقَةِ الْمُتَقَابِلَةِ إِذَا وَقَعَتْ عَلَيْهَا أَنْوَارُ الشَّمْسِ، فَإِنَّهُ يَنْعَكِسُ النُّورُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَرَايَا إِلَى الْأُخْرَى، فَكَذَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ، وَلِهَذَا السَّبَبِ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ ذَوْقٌ سَلِيمٌ وَأَدَّى هَذِهِ الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِالْجَمَاعَةِ؛ وَجَدَ مِنْ قَلْبِهِ فُسْحَةً وَنُورًا وَرَاحَةً"[1]. وهو تنويه بالاجتماع لصلاة الفجر أي تنويه.

وما جاء في القرآن الكريم من أنه عدّ عمل الخير وتقديم المنفعة للغير منفعة يستفيد منها مقدمها أولاً، حيث جاء التعبير بصيغة تفيد أنه يفعلها لنفسه هو، كما في قوله تعالى: (وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ) "لأن فعل الخير للغير فعل لنفسه، والخير يعود على فاعله ابتداء، ويعود على الغير انتهاء، فمن تصدق فإنما يتصدق لنفسه؛ لأن الفائدة إليه، إذ يعيش في مجتمع متكافل غير متدابر، ولتطيب بفعله القلوب، وتسود المحبة الكامنة، وكذلك كل فعل خير يكون لنفسه، وهو يقدمه لنفسه أو يكون له ثوابه"[2]. فتعدى بهذا المنحى كون العامل

(١) تفسير الرازي،٢١/٢٨٥.

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ١/٣٦٤.

ضمن مجموعة يتفضل أو يمتنّ عليهم بما يقدمه لهم، كما أن هذا المسلك أدعى إلى التفاني في خدمة الآخرين، وبذل الخير لهم على أي وجه.

ثانياً: الموازنة بين الفرد والفريق

وازن القرآن بين حاجات الفرد وحاجات الفريق، وجعل لكل منهما حدّاً لا يتجاوزه، فلا يتغول الفريق على حقوق منتسبيه، فهي أمة وسطية كما قال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) "والوسط عبارة عن المعتدل الذي لا يميل إلى جِهَةٍ دون جهة"(١)، والوسطية هنا كما ذكرت كتب التفسير تقع في "الارتباطات والعلاقات، لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الفريق أو الدولة، ولا تطلقه كذلك فردا أشرا جشعا لا هم له إلا ذاته، إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه، ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في الفريق. وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادما للمجموعة، والمجموعة كافلة للفرد في تناسق واتساق"(٢)، فراعى القرآن مصالحهما بما يكفل حقوقهما، دون أن يطغى أحدهما على الآخر.

ثالثاً: النهي عن مفاسد روح التعاون

سلك القرآن في سبيل بثّ روح الاجتماع في أوصال الفريق مسالك شتى، كان من أهمها ذلك التحذير المستمر لهم من فشو التنازع المفضي للفشل والعجز، لأن التنازع يبدد الجهود، ويقضي على الآمال، ويقف أمام تحقيق الأهداف، لذا حارب القرآن الفرقة ونهى عنها في مثل قوله سبحانه ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وقوله سبحانه: ولا تفرقوا (آل عمران: ١٠٣)، وقوله سبحانه: {ولا تكونوا

(١) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

(٢) الأساس في التفسير، سعيد حوّى، ٣٠٤/١.

كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم} (آل عمران:

فالنتيجة المتحتمة للتنازع من منظور القرآن هو الفشل المفضي إلى السلبية المدمرة في جوانب العمل كلها، وقد ذكر المعربون أن الفاء في جملة (فَتَفْشَلُوا) هي فاء السببية؛ التي تدل على أن ما بعدها سبب لما قبلها، أي بسبب التنازع يقع الفشل(١).

والفشل عجز موروث من داء التنازع والافتراق، فحيث وجد هذا الداء وقع المحذور؛ "لأن العمل التعاوني يجب أن تتضافر فيه القوى، ويكون كل جزء من الفريق متعاونا مع الجزء الآخر، فتتحد القوى، وتتلاقى نحو هدف معين يجمعها، وإنه وراء الفشل ذهاب القوة، ويطمع فيهم الطامعون، ولذا قال تعالى: (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) أي قوتكم"(٢)، وكفى بهذا البلاء من فساد الدين والدنيا، "فليس هناك في السياسة العامة أسوأ من تفرق الأمة وتمزق صفوفها وانقسامها فرقا وأحزابا، لذا حرص الإسلام إبان عهده الأول على وحدة الصف، واجتماع الكلمة، وتحقيق الألفة، وإشاعة المحبة، والسبيل التي وحّد الله بها الأمة هو اتحاد دستورها، واعتصامها بكتاب الله وسنة نبيه"(٣).

وعلى هذا فالإسلام يشيد بالتآلف والتآزر، وينظر إلى أسوأ أحوال الاجتماع بأنها أفضل من الافتراق على أي حال، من أجل هذا جاء في الأثر: (وَإِنَّ مَا

---

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ)، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ، ٤/ ١٦.

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٦/ ٣١٥٠

(٣) التفسير الوسيط للزحيلي،١/٢٢١، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ.

تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ)[١]، وقيل أيضًا: (كدَرُ الجماعة خير من صفو الفرد)[٢]. حتى وإن وقع اختلاف في وجهات النظر، فالاختلاف ليس مدعاة للافتراق.

رابعاً: دفع إيهام حول إشكال متعلق بالموضوع

قد يفهم من مثل قوله تعالى: (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)، وقوله تعالى: (أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) ذم رأي الأكثرية، والتقليل من أهمية العمل التعاوني؛ لأن مثل هذه الآيات تشير بجملتها وظاهر ألفاظها إلى أن الله تعالى يخبر نبيه –صلى الله عليه وسلم– إنك ستضِل لو أطعت من في الأرض واتبعت كثرتهم، وأن الوصول للحق مقترن بتدبر الأمور بمعزل عن الناس بما لا يزيد عن اثنين، فهذا سيد طنطاوي يقول في تفسير قوله تعالى: (أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) "ولم يأمرهم بأن يتفكروا في مجموعة، لأن العقلية الاجتماعية كثيرا ما تتبع الانفعال الطارئ، وقلما تتريث في الحكم على الأمور"[٣].

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ، وَفِيهِ ثَابِتُ بْنُ قُطْبَةَ وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

(٢) نسب هذا القول لمعاوية رضي الله عنه، ينظر: جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، ٣٧/٣. وذكره الجاحظ بلا نسبة، ينظر: البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ، ١/ ٢١٨.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى/١١/٣٠٦.

فكيف يتفق ذلك مع مواضع الأمر بالشورى والدعوة إلى الاجتماع والالتفاف حول الفريق، ومدح الإجماع؟

وهذا الإشكال كفانا مؤونة إجابته صاحب زهرة التفاسير بما لا مزيد فوقه، يقول: "وإذا أريد بالأرض أرض المشركين من بلاد العرب، فالمعنى يكون محدودًا بحدود الكثرة العربية الذين كانوا في ذلك الوقت مشركين، فإن تطع أكثرهم يضلوك عن سبيل الله تعالى؛ لأنهم مشركون، والشرك ضلال، فإن أطعتهم دخلت في ضلالهم، ويكون معنى القول نهي لمن مع النبي – صلى الله عليه وسلم – من أن يتبعوا المشركين في ضلالهم لأنهم الأكثرون، فالكثرة لَا تعطي الدليل قوة، ولا تتبع اليقين دائما، بل إن أقوالهم تعتمد على الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا... هذا الكلام خرجناه على أن الأرض المراد بها أرض الشرك، ويكون المقصود طاعة المشركين، ولكن الأرض لو يراد منها الأرض الواسعة أرض الله تعالى، ويكون المراد إن تطع الناس فيما يرون ويبتغون يضلوك عن سبيل الله تعالى، وليس الحق دائما مع الكثرة، بل قد تكون الكثرة على غير الحق، بل إنه ثبت من التحليل للعقلية الجمعية أنها لَا تدرك ما يدركه المتفكر في خاصة نفسه، وذلك لأن الجماعات تغلب عليها العاطفة الجماهيرية، ولا يكون مجال لتمحيصها، ولعل هذا هو ما يرمي إليه النص القرآني في وصف تفكير أكثر من في الأرض، إذ يقول سبحانه: (إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)، ومهما يكن فإن الآية الكريمة تدل على أمرين:

أولهما – أن الاتباع عن غير بينة لَا يجوز، بل إنه يجب النظر والبحث، وأن اتباع الجماعات من غير دراسة لَا يجوز، وأن الجماعات يغلب على تفكيرها الحدس والتخمين، ولا يسودها التفكير والدرس العميق والمنطق السليم.

ثانيهما – أن قوة الآراء ليست بكثرة معتنقيها، وإنما بقوة ما فيها من دليل، وإنه يترتب على ذلك أن التقليد لَا يجوز.

وقد يقول قائل إن الكثرة تُغلّب في الآراء عند الشورى، فلا يُغلب رأي القلة، وإن كان معقولا، فكيف رأي الكثرة غير صحيح؟

ونقول في الإجابة عن ذلك: إن أساس الشورى الرضا بالعمل، ورأي الكثرة اتباعه هو الدليل على النزول على رضا المجموع، والنبي – صلى الله عليه وسلم – نزل على رأي الكثرة عند الشورى في حرب أحد، ولو كان رأيه غير ذلك.

إذا كان الناس يضلون في تفكيرهم الجمعي، فلا تطعهم لأنهم يظنون ظناً، والظن لَا يغني من الحق، فإن الله هو الذي يعلم من يضل، ومن يهديه"[١]. انتهى.

وخلاصة الأمر أن الكثرة المضلة تلك الطغمة المتنافرة التي تبني أحكامها على الظن، وقد خلت من بينها روح الأمة وتآلفها، وبهذا يمكن التوفيق بين ذم الكثرة المضلة، أو الأغلبية الغبية كما ورد التعبير عنها في ذم نظام (الديمقراطيات) المعاصرة[٢]، وبين نظام الشورى في التشريع الإسلامي.

**

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٢٢٤٦/٥

(٢) ينظر في حكم الأغلبية الغبية كتاب: (أفكار ورجال قصة الفكر الغربي) كرين برنتن، ترجمة محمود محمود، مؤسسة هنداوي للنشر، بريطانيا، ٢٠٢٠م، ص٤٧٣ فما بعد.

المبحث الثاني

الإدارة وتعزيز روح الفريق في القرآن

تحافظ الرؤية القرآنية –كما يظهر من الأمثلة التفسيرية الآتية– على وسم قائد الفريق بأنه ذلك الشخص الذي يتمتع برؤية ثاقبة، وأفق واسع، وذو همة عالية، وأنه قادر على التناغم مع أعضاء الفريق الذي يتولى أمره، فيهتم بهم ويتقبل الاختلاف، ويملك آلة الاستماع لغيره التي تخوله فهم ما قيل كله، وهو الذي يتراجع عن مواقفه إذا ما تبين له صواب غيرها، بل إنه يسارع إلى الاعتراف بأخطائه، ولا ينظر إلى الناس على إنهم هياكل جامدة، ولا يتعالى عن مساعدة الغير له مهما كانت درجة نبوغه وبراعته.

وإذا كان معتمد العمل الناجح على مدى تآلف أعضاء الفريق وتفاهمهم، فإنه عمل منوط –بالدرجة الأولى– بما يملك قائد الفريق من مهارات تعزز هذا الجانب؛ لأن: "بناء فريق عمل ناجح أحد أهم مهام القائد"[1]، وهي مهمة شاقة لا يحسنها أي قائد، ولذلك قيل: "لا نبالغ حين نقول إن بناء كبرى ناطحات السحاب ربما يكون أسهل كثيرا من بناء فريق عمل مميز، وذلك أن التعامل مع البشر أمر شديد الحساسية والخطورة، ويحتاج إلى مهارة وفطنة كبيرتين"[2]، لذلك أولى القرآن الكريم هذه الناحية أهمية خاصة، وسيتبين ملامح ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: أثر المشاورة في تنمية روح الفريق

ليس الحديث –هنا– عن موضوع الشورى وأهميتها وفضائلها في الإسلام وعند كل ذي عقل وفكر، وليس –أيضاً– عن فوائدها وآثارها في مكونات المجتمع كلها، فهذا مما لا يخفى على ذي لب، وهو مطروح في كل طريق، إنما تركز

(١) العمل الجماعي، إبراهيم الفقي، دار أجيال للنشر والتوزيع، ط١/ ٢٠٠٩، ص ٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٨.

الحديث –هنا– حول الرؤية القرآنية لأثر تشاور القائد في تحفيز روح العمل المشترك، وفي تحقيق أهداف الفريق.

ومن الجدير بالإشارة أن لأهمية الشورى في تماسك الفريق وتآزرها؛ أن الله تعالى ذكرها في أكثر من موضع من كتابه العزيز، كما أنه تعالى لم يُعف من العمل بها نبيه صلى الله عليه وسلم، مع ما له من قدر ومكانة عند الله تعالى، فقد أمره أن يستشير من معه في كل أمر يعرض له، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا رَأَيْتُ رَجُلا أَكْثَرَ اسْتِشَارَةً لِلرِّجَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١)، فهذا أدعى للتآلف، وأطيب للأنفس، ولأن حظ الفريق من هذا التشاور السداد والتوفيق(٢)، كما لا يخفى ما في التشاور من ترويح لأنفس الرعية؛ لأن في استبداد القائد بالرأي مشقةً وثقلاً يزولان بالمشاورة(٣)، وَأيضاً فإن التشاور عبادة يثاب المسلم على فعلها فإذا "شاور القوم بَعضهم بَعْضًا، وَأَرَادُوا بذلك وَجه الله – عزم الله لَهُم على أرشده"(٤)، ووفقهم لخير الوجوه.

وقد جاء الأمر بالشورى –في سورة آل عمران– في سياق مأمورات أخرى كلها خطاب ضروري في حق كل من تأمر على مجموعة من الناس، قال تعالى:

---

(١) شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ١٣/ ١٨٨، ح رقم: ٣٦١١.

(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٣٤٤١٧–٣٤٦.

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ. ٤٣٢/١.

(٤) تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ١/ ٣٣٠.

(فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر)، وقد أشار بعض المفسرين إلى أن في هذه الآية "تلقينا جليلا مستمر المدى، فالذي يختار لرئاسة المسلمين وكل زعيم وحاكم فيهم يجب أن يكونوا متصفين باللين والرقة، بعيدين عن الجفاء والغلظة والقسوة، مدركين لمقتضيات المواقف، واسعي الصدر والحلم إزاء استفزاز المستفزين عن جهل أو خبث طوية، ولا سيما في الظروف الحرجة والأزمات العصيبة، وعليهم فوق ذلك أن لا يستبدوا بالرأي والعزائم، بل يشاوروا أهل العلم والرأي والمكانة والخبرة والعقول الراجحة قبل أن يضطلعوا بمسؤولية السير فيما يعتزمون أن يسيروا فيه، وأن لا يسيروا إلّا بعد نضوج الرأي وتبين أصحّ الوجوه وأصلحها وأكثرها اتساقا مع الظروف القائمة"[1].

والمتدبر لملامح الشورى في القرآن، يجد أن لها فوائد ظاهرة في علاقة أفراد الفريق مع قائدهم، ويجد –أيضا– أنها وثيقة من أروع الوثائق، ودستور من أقوم الدساتير في بناء المجتمع، وفى وصل مشاعر أفراده بعضهم مع بعض، وفى صبّ آراء أفراده في مجرى واحد يفيض بالخير والبركة عليهم جميعا[2]، كما ورد في التفسير.

وقد جمع الإمام الرازي عددا من فوائد مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وذكر منها "أَنَّكَ إِذَا شَاوَرْتَهُمْ فِي الْأَمْرِ اجْتَهَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي اسْتِخْرَاجِ الْوَجْهِ الْأَصْلَحِ فِي تِلْكَ الْوَاقِعَةِ، فَتَصِيرُ الْأَرْوَاحُ مُتَطَابِقَةً مُتَوَافِقَةً عَلَى تَحْصِيلِ أَصْلَحِ الْوُجُوهِ فِيهَا، وَتَطَابُقُ الْأَرْوَاحِ الطَّاهِرَةِ عَلَى الشَّيْءِ الْوَاحِدِ مِمَّا يُعِينُ

(١) التفسير الحديث، عزة دروزة، ٢٥٣\١٧.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ٧٤/١٣.

عَلَى حُصُولِهِ، وَهَذَا هُوَ السِّرُّ عِنْدَ الِاجْتِمَاعِ فِي الصَّلَوَاتِ. وَهُوَ السِّرُّ فِي أَنَّ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْمُنْفَرِدِ"(١).

وأياً ما يكون، فإن الْأَمْر بالشورى في القرآن شامل لكل أحوال الفريق مما يختص بأمورهم من حرب أو سلم أو قيام بمهمة، شرعها الله تعالى تطييباً لنفوس الفريق، وترويحا لقلوبهم، ورفعا لأقدارهم –كما تقدم– وتوعية لهم على قضاياهم، وتسييرا لهم من حيث يقتنعون أنه المصلحة، واستخراجا لطاقات عقولهم فيما هو خير لمجموعهم"(٢). كما تقرر في التفسير.

ولا شك أن "الْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ فِي تَرْبِيَتِهِمْ عَلَى الْعَمَلِ بِالْمُشَاوَرَةِ دُونَ الْعَمَلِ بِرَأْيِ الرَّئِيسِ وَإِنْ كَانَ صَوَابًا، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ النَّفْعِ لَهُمْ فِي مُسْتَقْبَلِ حُكُومَتِهِمْ إِنْ أَقَامُوا هَذَا الرُّكْنَ الْعَظِيمَ (الْمُشَاوَرَةَ)، فَإِنَّ الْجُمْهُورَ أَبْعَدُ عَنِ الْخَطَأِ مِنَ الْفَرْدِ فِي الْأَكْثَرِ، وَالْخَطَرُ عَلَى الْأُمَّةِ فِي تَفْوِيضِ أَمْرِهَا إِلَى الرَّجُلِ الْوَاحِدِ أَشَدُّ وَأَكْبَرُ"(٣)، كما قال صاحب تفسير المنار، وهو مضمون التعبير عن أهمية إنجاز المهمات بروح الفريق وقوته.

المطلب الثاني: أثر اهتمام القائد برعيته في تعزيز روح الفريق

من فوائد العمل التعاوني وثماره الطيبة: أنه يستثير طاقات أعضاء الفريق كلهم، كما أنه يعمل على توزيع المهام وإنجازها بشكل متقن، ذلك أن كل فرد فيهم يختار إنجاز المهمة التي تناسبه، ويضمن القيام بها على أكمل وجه، أما تلك التي لا يتقنها تماماً فيدعها لمن يحسن القيام بها بشكل أفضل منه، كما أن اختلاف الأفراد في المهارات والأمزجة والإمكانات والفروق الفردية يتيح للقائد

---

(١) تفسير الرازي، ٩/ ٤٠٩ .

(٢) ينظر: تفسير الأساس، سعيد حوى٩١٦/٢

(٣) المنار– تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م، ١٦٣/٤.

اختيار الفرد الأنسب للقيام بالمهمة، ويسهل مهمة توزيعه للأدوار؛ فكل واحد منهم يخدم الهدف حسب طاقاته وإمكاناته.

وقد أشار القرآن الكريم في كثير من مواضعه إلى أثر عناية القائد بأفراد الجماعة، وفيه دلالة واضحة منه على أهمية هذا المنحى في بث روح الجماعة، وتعزيز رابطة العمل المشترك فيما بينهم، ففي حكاية القرآن عن نبيِّ الله سليمان عليه السلام قال: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ﴾]النمل: ٢٠[، جاء التعبير القرآني بالتفقد دونما عداه من ألفاظ مقاربة للدلالة على مزيد من اهتمام القائد برعيته، ففي الآية "دَلَالَةٌ عَلَى تَفَقُّدِ الْإِمَامِ أَحْوَالَ رَعِيَّتِهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمْ"[١]، كما جاء في البحر المحيط، وهو استنباط نفيس من أبي حيان رحمه الله تعالى.

والتفقد أحد مظاهر الاهتمام، وهو أمر متعارف عليه في علم الإدارة، إذ المقرر هناك أن "الفطرة الإنسانية تبحث دائما عمن يهتم بها ويقدرها، فالقائد الفعال لا يهمل تقدير أعضاء فريقه والاهتمام بهم"[٢]، ومع أن التعبير بفعل التفقد مفهم اهتماماً خاصاً دقيقاً، إلا أن هناك شكلاً آخر من اهتمام القائد، مستنبطٌ من جملة سياق الآية، وهو أنه لا يهمل تصرفات جنده وأعمالهم، فهو مطلع على كل شيء من ظواهر أعمالهم، ودل بداهة على "أن سليمان عليه السلام كان يعرف الصغيرة والكبيرة من أمر جنده، وعلى أن أي خلل يخل به أحد من جنده كان يعرفه، ويشعر به، ويبحث عن سببه"[٣]، وهو غاية في الاهتمام والرعاية اللتين تحفظان للفريق تماسكه وتوحيد جهوده من أجل تحقيق هدفه.

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، ٨/ ٢٢٣.

(٢) العمل الجماعي، إبراهيم الفقي، ص ١٤.

(٣) الأساس في التفسير، حوى ٧/ ٤٠٠٧.

وقد استخرج المفسرون وأهل السياسة الشرعية من قصة هدهد سليمان عليه السلام في سورة النمل دلالات جمة في موضوع أدب الاجتماع، وعلاقة الحاكم بالمحكوم، وما يجب أن يكون عليه الحاكم من الأخلاق في سياسة محكوميهِ، – وما يعني الدراسة هنا ما يتصل منها بباب أهمية العمل بروح التعاوني في تحقيق المقاصد النبيلة– فذكر بعضهم أن الله تعالى حكى هذه القصة "تنبيها على أنّ في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به غيره، لتتحاقر إليه نفسه، ويتصاغر إليه علمه، ويكون لطفا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء، وأعظم بها فتنة"(١).

ومع أنني لا أستجيز لفظ تتحاقر –الذي أبداه الزمخشري هنا– لأنه غير مناسب لمقام النبوة، إلا أنه خلق رفيع، وتعبير صحيح فيما يخص كل حاكم من غير الأنبياء؛ لأنه يفضي إلى تمتين العلاقة وتوثيقها بين الرئيس والمرؤوس.

ولعل ما هو حري بالذكر –هنا– أن جملة (يُوزَعُونَ) التي أُخبر بها عن جنود سليمان عليه السلام "نص على وجود النظام في الجند، كما أن في ذكر كلمة (جُنُودُهُ) نص على فكرة الطاعة، وهذه المعاني هي أسس حياة الجندية السليمة، طاعة، وانضباط، ونظام دقيق، وفي عصرنا تقوم الجندية على التدريب الدقيق على النظام من أجل تعويد الجند على الطاعة والانضباط، وهذا كله يمكن أن تكون الآية أصلا فيه"(٢)، كما جاء في التفسير.

ولا يخفى ما لهذه المعاني من نظام وطاعة وانضباط –إذا سرت في جسم الجند– من أثر في إمدادهم بقوة تتضاءل أمامها المخاطر كلها، ولذلك فإن الله تعالى مَنّ على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بما أيده به من طاعة أصحابه وائتمارهم بأمره في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وهو تأييد ناتج

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري، ٣/ ٣٥٩.

(٢) الأساس في التفسير، حوى ٧/ ٤٠٠٧.

عما ألقاه سبحانه في قلوبهم من التجانس والتشابه والتحاب، قال الثعالبي عند تفسير هذه الآية: "والتشابه سَبَبُ الأُلْفَة، فمَنْ كان من أهْل الخَيْر، أَلِفَ أشباهَهُ وأَلِفُوهُ"(١)، وفي هذا إلماح إلى التصور القرآني المتمثل في أثر ترابط أعضاء الفريق في إحراز النصر وتحقيق المكاسب الكبار، وكفى به من قيمة.

**

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: محمد علي معوض، عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، ٣/ ١٥٢.

الخاتمــة

بعد هذه الإضاءات القرآنية التفسيرية حول متعلقات العمل التعاوني يحسن هنا تسجيل بعض نتائج الدراسة وتوصياتها كالآتي:

أولا: النتائج

١– كشفت الدراسة عن ملامح المنهج القرآني حول نظرية العمل التعاوني، من خلال عبارات المفسرين.

٢– قدمت الدراسة صوراً واضحة ونماذج تطبيقية عملية للعمل بروح الفريق مستفادة من الرؤية القرآنية.

٣– أبانت الدراسة جانباً من السبق الحضاري للقرآن الكريم في مجال العمل التعاوني كما جاء في كتب التفسير.

٤– تمكنت الدراسة من التأصيل الشرعي لمهارة العمل التعاوني في القرآن الكريم من خلال آراء المفسرين.

٥– كشفت الدراسة عن أسس العمل التعاوني في القرآن، وعن أهمية القائد في هذا المجال.

ثانياً: التوصيات

توصي الدراسة بما يلي:

١– أن يتجه الباحثون إلى إثارة كنوز القرآن الكريم والإفادة منها في تأصيل مصطلحات العلوم الإنسانية المعاصرة.

٢– ضرورة التركيز على إعمال مادة القرآن الكريم في علوم النظريات المعاصرة، ولا سيما مبدأ العمل التعاوني، واكتشاف أهميته الخاصة في عصرنا الحاضر (عصر تفوق الآخرين).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،،

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢. الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.

٣. إعراب القرآن وبيانه، أحمد مصطفى درويش (المتوفى:١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.

٤. أفكار ورجال قصة الفكر الغربي، كرين برنتن، ترجمة محمود محمود، مؤسسة هنداوي للنشر، بريطانيا، ٢٠٢٠م.

٥. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٦. بناء وإدارة فريق العمل، من منشورات الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة، مصر، دون معلومات النشر.

٧. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

٨. تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٩. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣هـ.

١٠. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

٢. التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٣. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٤. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥. جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٦. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٧. الخواطر، تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، طبعة: ١٩٩٧ م).

٨. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي.
٩. شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٠. العمل الجماعي، إبراهيم الفقي، دار أجيال للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩.
١١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
١٢. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١٣. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
١٤. مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

١٥. المنار– تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

١٦. اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

١٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

المراجع الأجنبية

١- Larson,C.and LaFasto,F., Teamwork, Sage Publications, Newbury Park,CA,١٩٨٩.

* * *